في أسرة الأدباء والكتاب...

محفوظ «الإمام» كان يجب أن يرث الأنبياء

■ العدلية - المحرر الثقافي

□ «إليك أيها العملاق الذي كنت ولا تزال تسكن أبراجاً بنيتها من علم وفلسفة...إليك أيها الباحث عن مكنونات شعبك وعطشه... إليك أيها الكاشف أستار التربة ليعرف التاريخ هويات الحلم المغروس في أفئدة شعبك...إليك أيها المدرك تبعات مغامرات الحرف والكلمة».

لم تكن هذه الكلمة لرئيس دولة، أو ثوري تلقى في حقه شهادة متأخرة، كانت لكل ذلك، قالها الناقد فهد حسين، في ندوة «أسرة الأدباء والكتاب» عن نجيب محفوظ.

يقول الناقد فهد حسين له: «إليك أيها الغارس فينا حب القراءة، ولذة المطالعة وشهية المعرفة، فنجيب محفوظ الذي تم تناوله في الأمسية كان الإنسان والكاتب، الفيلسوف والبسيط الذي يجلس في آخر المقهى».

ولأن نجيب محفوظ الروائي، حضر في ذهن المتلقي من خلال الشاشة الفضية أيضاً، عندما قدمت أعمال الروائية كمسلسلات وأفلام، جعلت من تناول محفوظ من جانب واحد، يترك العمل ناقصاً، لذلك اهتم الروائي البحرين عبدالله خليفة بتناول محفوظ من خلال دراسته النقدية الأدبية، أما الناقد السينمائي حسن حداد فقد تناول محفوظ من خلال رؤيته السينمائية.

اقترح عبدالله خليفة أن محفوظ غادر منذ زمن طويل مصر الفرعونية حين كتب «محلمة الحرافيش»، واعتبر خليفة أن رحلة محفوظ الطويلة في تشريح جسد المريض، أزالت الحياد لديه، ونزع بذلك أقنعة الكتابة، أو التخفي وراء المساواة بين اللصوص والثوار، معتبرا أن محفوظ تحول إماماً للحرافيش بذلك، كما ذهب الكاتب أن محفوظ الإمام كان يجب له أن يرث الأنبياء، وأن يروي هذا الميراث كتسجيل قصصي، باعتبارهم ثروة، لكنهم أيضاً من «أبناء حارتنا» كما أشار خليفة.

واعتبر أن الانعطافة المهمة لمحفوظ تكمن في ضربه للتوجه التنويري الذي اعتبره متجسداً في «أولاد حارتنا»، لكنه في الوقت نفسه عكس رؤية محفوظ المحدودة للتاريخ كما زعم الكاتب، وليس ذلك فقط، بل اعتبر هذه المحدودية ممتدة إلى الثقافة الدينية، ما أثار اشكاليات متعددة، واستدرك خليفة قوله بـ: «لكن (أولاد حارتنا) تعكس من جهة أخرى قدرة الوعي الفني في الوصول إلى تعميمات فكرية مهمة، مصاغة بحدس فني، في (ملحمة الحرافيش) لا نجد كثيراً الحرافيش، بل نجد المثقفين قادة التحول السياسي».

وينتهي خليفة في ورقته إلى أن محفوظ في رواية الحرافيش وصل إلى خلاصة السيرورة العربية، وأن القوى السياسية عجزت عن فهم ذلك، وعلى رغم ذلك فإنه امتزج مع تكوينها الديني وبنائها الاجتماعي. وفي خاتمة حديثه أشار إلى أن محفوظ شكل خلال تجربته الطويلة خطوطا عريضة، تنقله «من التغريب إلى الحفر العام في الواقع، إلى تجسيد حركة المثقفين المناضلين لقيادة الحرافيش، إلى تجاوز البناء التقليدي وامتصاص أغنى ما فيه لمجتمع تحديثي ديمقراطي».

من جانب آخر، تناول الناقد السينمائي حسن حداد في محاضرته محفوظ والسينما، وانطلق حداد بعد تسليط سريع على تجربة محفوظ في السينما إلى تقسيم أعمال محفوظ إلى مرحلتين، اعتبر المرحلة الأولى هي أعماله مع المخرج الكبير صلاح أبو سيف، الذي وصفه بأنه «رائد الواقعية في السينما المصرية»، إذ اعتبر حداد أن أبو سيف نجح في تحفيز محفوظ للدخول على تجربة كتابة السيناريو، وذلك من خلال كتابته سيناريو لفيلم «المنتقم» العام 1948م، ثم مضى بعدها محفوظ في الكتابة السينمائية من «لك يوم يا ظالم» وغيرها من الأفلام التي أخذت نصيباً من الشهرة، واعتبر حداد أن محفوظ كان «مكسباً حقيقياً للسينما المصرية».

أما المرحلة الثانية التي يراها حداد فهي بدأت عندما أخذت رواياته المنشورة لتكون أفلاماً، فيقول حداد: «عندما بدأ المخرجون بالتصدي لرواياته، رفض رفضاً قاطعاً كتابة السيناريو لها»، واعتبر حداد أن بعد هذه المرحلة بدأت روايات محفوظ تغزو السينما، «وتفتح أبواباً رحبة كانت موصدة»، من خلال التعامل مع الرواية بوصفها أدباً، ويضيف حداد أن «ما قدم في السينما المصرية على وجه الخصوص، من أدب نجيب محفوظ، يشكل زخماً ضخماً، يفوق ما قدم عن أدب الآخرين مجتمعين»، ثم ينتهي الكاتب بطرح سؤال عن سبب الإقبال على روايات محفوظ لجعلها أفلاماً، ثم يشير حداد إلى عدة أسباب، يرى أن أهمها تصوير محفوظ للبيئة الشعبية، وتقديمه من خلال أبطال رواياته شخوصا واقعية، لها نافذة تطل على المشكلات الاجتماعية التي تلمس العامة من الناس، كما يرفد ذلك دقة في السرد وتفصيل الوقائع كما ذكر حداد.

لقطة من الأمسية يظهر فيها الناقد فهد حسين والروائي عبدالله خليفة

أدونيس و«نوبل»... حداثتان لا تسمع إحداهما للأخرى

■ الوسط - المحرر الثقافي

□ تعلن اليوم (الخميس) الأكاديمية الملكية السويدية الفائز بجائزة نوبل للآداب، تتأرجح الجائزة بين الشاعر السوري ادونيس والأميركي فيليب روث والإسرائيلي عاموس اوز والبيروفي ماريو فارغاس يوسا. وكانت العام الماضي قد آلت للكاتب المسرحي البريطاني هارولد بينتر.

ويعتبر علي أحمد سعيد أسبر، أدونيس، من الأسماء الدائمة الترشيح للجائزة. إلا أنها رموز الحداثة العربية – بحسب بعض المهتمين – دائما ما تحبط، سواء داخل الأرض العربية أو خارجها، هذا بخلاف أن جائزة نوبل للآداب دائما ما تحمل المفاجآت...

الأديب أدونيس وصفته صحيفة "سفنسكا داغبلادت"، أكبر صحف السويد اليومية، في مقابلتها معه العام الماضي – قبل يوم واحد من ظهور النتائج – بأنه "يحتل المركز الأول في قائمة لادبروك الانجليزية للتوقعات المتعلقة بشأن تحديد اسم الفائز بجائزة نوبل". وكذلك كانت دعوته إلى حضور معرض الكتاب في يوتبوري (يوتنبورغ)، ومن ثم ظهوره المفاجئ على القناة التلفزيونية السويدية الأولى في مقابلة قصيرة، قبل يومين من الجائزة، إلا انه لم ينجح في اختباره أمام البريطاني بينتر. ليبقى نجيب محفوظ متربعاً على عرش نوبل العربي، من دون منازع.

وتعد الجائزة التي تعطى في العاشر من ديسمبر/ كانون الأول من كل عام أعلى مرتبة من الثناء والإطراء على مستوى العالم. أما الأب الروحي للجائزة فهو الصناعي السويدي ومخترع الديناميت، الفريد نوبل. إذ قام بالتصديق على الجائزة السنوية في وصيته.

يذكر أن أوّل احتفال أقيم لتقديم جائزة نوبل في الآداب، الفيزياء، الكيمياء، والطب في الأكاديمية الملكية الموسيقية في مدينة ستوكهولم السويدية كان العام 1901.

تتضمّن جائزة نوبل مبلغ 10 ملايين كرونر سويدي، أي أكثر من مليون دولار أميركي بقليل. وفي العام 1968، قام المصرف السويدي باستحداث جائزة نوبل للعلوم الاقتصادية إلا أن عائلة نوبل لم تعترف بالجائزة المستحدثة إذ إن ألفريد نوبل لم يذكرها من ضمن المجالات التي تُمنح لها جائزة نوبل.

ألفريد نوبل: ألفريد نوبل هو مهندس وكيميائي سويدي توفي العام 1896م وكان قد اخترع الديناميت في العام 1867م ومن ثم أوصى بكل ثروته التي جناها من الاختراع إلى جائزة نوبل التي سُميت باسمه.

ولد ألفريد نوبل في 21 أكتوبر/ تشرين الأول 1833م في مدينة أستوكهولم عاصمة السويد. أتاح والده عمانوئيل نوبل، بعد جهد وكفاح في العمل في حقل الألغام البحرية وثرائه من ذلك، فرصة تعلّم جيدة لابنه ألفريد وأخوته الثلاثة، إذ وفر لهم المدرسين الأكفاء في علوم الطبيعة والكيمياء واللغات والآداب. فما أن بلغ ألفريد السابعة عشرة من عمره حتى أتقن خمس لغات وهي السويدية، والروسية، والفرنسية، والإنجليزية، والألمانية.

عمل والده على بناء مصنع بالقرب من مدينة أستوكهوم لتصنيع مادة النيتروكليسرين شديدة الانفجار، وقام بتصنيع نحو 140 كيلو جراماً من هذه المادة، ولكن المصنع انفجر العام 1864م. تسبب الانفجار في مقتل أخيه الأصغر إميل، وأربعة من الكيميائيين والعمال.

عمل ألفريد على ترويض وضبط استعمال مادة النيتروكليسرين فتوصل إلى اختراع الديناميت في العام 1866م، وحصل على براءة اختراعه، فتهافتت على شرائه شركات البناء والمناجم والقوات المسلحة، وانتشر استخدام الديناميت في جميع أنحاء العالم. قام ألفريد بإنشاء عشرات المصانع والمعامل في عشرين دولة، وجنى من وراء ذلك ثروة كبيرة جداً حتى أصبح من أغنى أغنياء العالم.

تصور ألفريد بأنه بهذا الاختراع قد عمل على إسعاد البشرية وعندما تبين له خطأ مقصده قرر في نهاية حياته أن يهب بعض ثروته لكل من يُسهم في إسعاد ورخاء البشرية وتقديمها عبر جائزة نوبل.

مات ألفريد نوبل يوم العاشر من ديسمبر سنة 1896م في مدينة سان ريمو الإيطالية وحيدًا، وقد خلف وراءه ثروة طائلة قُدرت بنحو 30 مليون كورونا سويدية، ووصية بأستثمار الجانب الأكبر من ثروته في مشروعات ربحية يتم من ريعها منح خمس جوائز سنوية لأكثر من أفاد البشرية في مجالات حددها وهي مجال الكيمياء، والفيزياء، والطب أو الفيسيولوجيا، والأدب، والسلام العالمي.

محاورات ثقافية

فوضى في نادي الطائف الأدبي احتجاجاً على محاضرة لحمزة المزيني

□ أثارت مجموعة من الشباب الفوضى في قاعة المحاضرات بنادي الطائف الأدبي في نهاية محاضرة لحمزة المزيني الأسبوع الماضي بشأن تطوير المناهج التعليمية والمقررات الدراسية بالسعودية.

وطالب المحتجون إدارة النادي والمحاضر بفتح المجال لهم في مناظرة المحاضر ومناقشته في بعض أفكاره، وقد تعالت الأصوات في نهاية المحاضرة وبدأ بعضهم بالتكبير بصوت مرتفع في تصرف غير مسبوق لم يشهده أي نادٍ ثقافي سعودي من قبل، واطلقت الكثير من الألفاظ مثل «كافر، علماني»، ضد المحاضر.

وكان حمزة المزيني قد تناول إصلاح المناهج التعليمية وركز بصورة مباشرة على المناهج الدينية في المملكة والتي وصفها بالقصور في تزويد الطالب بالمفاهيم التي تجعله إنسانا سويا، يقف في وجه المغريات المادية والمغريات الأخرى التي تحاول تجنيده في حروب الآخرين. وأشار المزيني في بداية محاضرته إلى الحساسية المفرطة التي تنتاب البعض عند الحديث عن التعليم وكأنه «اجتراء على مقدس».

وقال: ما نناقشه لايخرج عن كونه اجتهادات بشرية يصح فيها الاختلاف ويصح تبادل الرأي، وطالب بالتخلي عن الحساسية المفرطة.

وما قاله المزيني في محاضرته «من المؤثرات التي حدثت في مطلع الثمانينات الهجرية وما تبعها وفود أعداد من المعلمين المصريين الذين ينتمون لجماعة الإخوان المسلمين للملكة وتولي بعضهم مراكز مهمة في التخطيط للتعليم».

وأضاف «من العوامل المؤثرة في التعليم السائد فتنة الحرم التي ارتكبها البغاة في نهاية التسعينات وعلى رغم أن زعيم تلك الفتنة وعناصرها قضي عليهم لكنهم أشعروا المجتمع وكأن المملكة لا تمثل الإسلام وقد تسربت بعض المفاهيم إلى المناهج التعليمية من إذ التشدد والتعليم كما هو معروف صورة لما يجري في المجتمع «بحسب رأي المحاضر».

أول نوفمبر آخر موعد للمشاركة في جائزة السلطان قابوس للإبداع الثقافي

□ اعلن أخيراً أن آخر نوفمبر/ تشرين الثاني سيكون الموعد الأخير لاستقبال المشاركات لنيل جائزة السلطان قابوس للإبداع الثقافي التي تشرف عليها وزارة التراث والثقافة في سلطنة عمان الشقيقة.

وتشمل المسابقة المجالات التالية (الشعر، القصة، الرواية، النص المسرحي، التصوير الضوئي، الرسم، النحت). ومن شروط الجائزة التي يبلغ قدرها المالي 125 ألف دولار أميركي في كل مجال من المجالات السابقة أن العمل المرشح يتناول القضايا من زاوية إنسانية ذات قيمة ابتكارية، ويتسم بتحقيق الأسس الجمالية والبنائية، وألا تقل الأعمال التي تقدم للمرشح للجائزة عن ثلاثة أعمال مطبوعة في أي مجال من المجالات الأدبية المذكورة، وألا يكون قد مضى على أحدث إصدار للمرشح أكثر من خمس سنوات.

أما في مجال الفنون فتنطبق الشروط الجمالية والابتكارية نفسها مع ترك الحرية للفنان في اختيار الموضوع والخامة المناسبة للعمل الفني، وكذلك التقنية وأسلوب المعالجة والحجم، على ألا يقل مقاس العمل الفني في التصوير الضوئي عن (30 في 40 سم)، وفي الرسم والتصوير عن (1 في 5.1 أمتار)، وفي النحت عن (5.0 في 1 في 5.1 أمتار)، وألا يقل عدد الأعمال التي يتقدم بها الفنان للمسابقة عن ثلاثة في أي مجال من المجالات المذكورة.

مصادرة كتاب «الشيوخ المودرن وصناعة التطرف الديني» من مصر

قال ناشر مصري بارز ان شرطة المصنفات الفنية داهمت مكتبته وقبضت على أحد العاملين بها وصادرت كتاب «الشيوخ المودرن وصناعة التطرف الديني» بتعليمات من مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة.

وأضاف محمد مدبولي صاحب إحدى أشهر مكتبات القاهرة أن رجال الشرطة داهموا المكتبة التي تعد الأكثر شهرة في وسط القاهرة «وتم القبض على أحد العاملين بالمكتبة وتم حبسه كما تم التحفظ على 280 نسخة من الكتاب».

وأضاف أن «المداهمة والقبض والمصادرة تمت من قبل (شرطة) المصنفات الفنية بناء على تعليمات من مجمع البحوث الإسلامية».

والكتاب الذي ألفه محمد فتوح وصدر عن مكتبة مدبولي يقع في 140 صفحة ويحمل غلافه عناوين منها «اختلاف الفقهاء يشيع البلبلة ويشعل الفتن» و«الفكر الارهابي وتخدير العقل العربي» و«لهذه الاسباب يكرهون ويقهرون النساء» و«امامة المرأة للصلاة حق لها» و«فصل الدين عن الدولة هو الحل» و«المتأسلمون هم سبب تخلف المرأة».

جواشن

الهندي الأحمر... والتشبث بشجرة الزيتون

□ يؤدي الهنود الحمر الذين تعامل معهم المستعمر الأبيض باعتبارهم عالة على الجنس البشري في الأرض الجديدة، طقوساً دينية فحواها الاعتذار إلى الشجرة حين تضطر جماعة منهم إلى قطعها لأكثر من سبب، في سلوك متحضّر في احترام البيئة. اليوم بات قطع الرؤوس ضرباً من الألعاب الإلكترونية التي يتحلّق حولها مئات الآلاف من الأطفال في العالم.

جائزة (بايو) للعام الجاري، كانت من نصيب المصوّر الصحافي جعفر اشتية، لامرأة فلسطينية تحتضن جذع شجرة هي ما تبقى من حقل زيتون جرفته قوات الاحتلال الصهيوني في قرية سالم قرب مدينة نابلس. هي نفسها القوات التابعة لدولة تصنّفها الولايات المتحدة الأميركية دولة أولى في الديمقراطية في الشرق الأوسط. بنفس الدم البارد الذي يعمد إلى حقل زيتون فيجرفه (الشجرة المذكورة تثمر بعد – 4 5 سنوات وتستمر في إعطاء ثمرها لأكثر من ألفي عام، وهي بالمناسبة أ ول شجرة نبتت في الدنيا، وأول شجرة نبتت بعد الطوفان)، تعمد قوات دولة الإحتلال نفسها إلى اجتثاث إنسان الأرض الفلسطينية بالدم البارد نفسه. عن أية ديمقراطية تتحدث أميركا؟

اذا هان إنسان على أية قوة، فسيهون عليها ما عداه من مخلوقات. أليس من السذاجة والحمق، الحديث عن احترام البيئة وطقوسها في دولة تقوم على القتل اليومي والتهجير وتجريب ترسانتها على البشر العزّل؟.

ذهنية وعقلية كتلك تحيلنا إلى الجرعة الانسانية المفقودة في ثقافة القوة والهيمنة والإلغاء. اذ لا جرعة يمكن التعويل عليها أو حتى توهمها. المأساة أن الدولة الباطشة الأولى في العالم افتقدت بوعي كبير وحاضر كل تلك الجرعة من الإنسانية في تحوّل بوليسي واستخباراتي وترصدي لكل همسة ونجوى في هذا العالم، بعيْد اختراق غفلتها وسكْرتها بالجبروت واستواء القوة لديها، تلك الكفيلة بتدمير هذا العالم لمئات المرات، عدْوّاً عليه في ممارسة هي في الصميم من أخلاقها واستهتارها.

***

الطقوس نفسها التي يعْمد إليها الهندي الأحمر في صلوات مركّزة واعتذارات يبدو أنْ لا نهاية لها حتى بعد فعل اجتثاث شجرة، تعمد امرأة فلسطينية مسنّة إلى احتضان جذع شجرة زيتون كاحتضانها لعائد من أبنائها بعد سجن أو سفر طويل، أو كاحتضانها لابنها الذي قضى في لحظة غدر مستشرٍ. صورة ومشهد يضع هذا العالم – كل العالم – أمام مسئولياته التي تبرّأ وتخلّى عنها. صورة تعيد هذا العالم إلى بدائية أخلاقياته بهذه القدرة على الصمت إزاء تجاوزات دولة مُصنّفة ضمن الدول الطاعنة في عضوية النادي الديمقراطي، فيما هي في الذروة من القهر وموهبة اجتراح طرق مبتكرة في حرق الحرث والنسل.

***

اجتثاث حقل من الزيتون، في العميق من توهم اجتثاث 5 سنوات من عمر امرأة في الهزيع الأخير من حضورها على هذا الكوكب، وفي العميق من توهم اجتثاث 5 سنوات أخرى من عمر شعب ظل – ولا يزال – متشبثاً بالتراب والسيرة والتاريخ والحاضر من المشاكسة في الممارسة والحضور. وتوهم القدرة على اجتثاث قرون من الامتداد والمواجهة والتصدي لكل أشكال النسف والإلغاء والتزوير، ومحاولة يائسة لتكريس صورة الكائن الذي هبط على أرض لم يتمكن من ترويضها وإخضاعها لصالح الجنس البشري، فيما الصهيوني المستجلب من الجهات الأربع استطاع أن يقيم على ترابها مفاعلات نووية، ومصانع لا تعد ولا تحصى من آلة الدمار والموت.

***

أن تتشبث بجذع شجرة زيتون، ذلك يعني تشبثك بأحلامك وذاكرتك وأملك. يعني تشبثك بالمستحيل/ الممكن في ظل دولة تحيل ممكنك إلى مستحيل، ومستحيلك إلى كابوس وخرافة.

***

يضعنا تشبث تلك المرأة بجذع شجرة الزيتون أمام مواجهة واستحقاق التمييز بين الهمجي والإنساني... بين المقيم والماكث والمنتمي إلى الأرض ... والطارئ عليها. يضعنا أمام صدقية تصنيف التعاطي الراهن الذي يقذف بالمتحضّر والإنساني في خانة الهمجي والمؤقت ليحتل مكانه في الأصيل والمقيم والأبدي.

القسمة الضيزى في السياسة الأميركية/ الصهيونية الراهنة، لا تضاهيها أي قسمة أخرى من حيث تجاوزها للحس والإدراك والفطرة والإنسانية، ما يضعها في خانة الرجعي والمتخلف ومصدر خطر أكيد على المنجز البشري.

***

تتلاعب بوعينا الأسطورة أحياناً، وأحياناً تعيدنا إلى رشدنا. لكن في نهاية المطاف، لن تستنزف منا الأسطورة حضورنا وذاكرتنا إذا ما ذهبت باتجاه النقي والناصع من تمرير قيمة أخلاقية وحتى عاطفية – على أقل تقدير – لأننا نشكو من عطب عاطفي، ما يجعلنا معرّضين إلى أكثر من عطب أخلاقي.

جعفر الجمري

jaffar.aljamri@alwsatnews.com